

٠١٠

طلعت الشمس أمس...

مقلقة شمسُ ذاك الصباح، تُحرقُ الأجسادَ وتبهرُ العيونَ...

- فَمُ يا زوجِ النحس؛ لقد تعفُنتَ نومًا.

لا يجيبها لأنه يعرف أنه حقاً زوجُ نحس، مثلما هي زوجةُ نحس.

يتعرقُ جسده، فلا يجد بدأً من القيام للتهوئة فقط.. رغم أن الهواء نادر هذه الأيام. يفرك عينيه.. يراوحهما بين الفتح والغلق مرات عديدة كي تتقادت هذا الضوء الباهر، ثم يبادر إلى التقاط سيجارة من العلبة النائمة تحت الفراش. يُشعلُ عودَ الكبريت ثم السيجارة من بعده. لا يُطفئُ عود الثقاب.. يظل يتأملُه باهتمام وهو يحترق رويداً رويداً، تاركاً خلف النار عوداً أسود فاحماً يعلوه رأسٌ محترق. يرنو بلا عَيْنَيْنِ إلى فوق. يظل يراقب هذه العملية حتى تصل النارُ إلى إصبعيه فتلتذرعان. ينفخ بشدة على العود نفخةً تطيرُ بعضَ نومِه. يلتفت إلى السيجارة في يده الأخرى وقد راح أكثرها خارج صدره؛ يُحزنه تَلَفُ الأشياء في غير مجالها: السيجارة في غير صدره، ليلة خارج الحمى، يوم بلا خمر، مطرٌ في المدينة، شبابٌ في سجن الفقر.

يستلقي على الفراش من جديد. السيجارة في يده اليمنى. يده اليسرى تحت رأسه. وهو ينظر إلى السقف يبحث في كل ركن من أركانه عن شيء يجلب بصره.. أي شيء هذا الصباح.

ذبابة على المصباح المنطفي (لو اشتعل لطارت).. وقد تحطَّ عليه هو فتقلقه. بسرعة استنتج أن اختفاء الذباب ليلاً سببُه النور الكهربائي.. ثم تسائل عن مدى صحة استنتاجه هذا.

كل شيء يمرَّ بهدوء.. أو لا يمر. الذبابة هاجعة فوق المصباح. الشمس لا تتحرك. الباب لم يُقفلْ أحدٌ ولم يفتحه أحد. محرك التلّاجة يقوم بواجبه من الإفطار من أعصابه دون ملل. كلُّه كفَّ عن النباح.. التلّافز بدأ بالقرآن. زوجته تتأفف من نفسها.

- أم.. تدخّن على الخواء. أنا لستُ خائفةً عليك، إنما أخاف أن تتركنا أيتامًا.

في ركن من الأركان عنكبوتٌ بدأ ينسج بيته - ﴿وَإِنْ أَوْهَنْ الْبُيُوتِ لَمَيَّتْ الْعَنْكَبُوتُ﴾ - ينسجه على مهل وبدون أدنى مجهود. وهو يشارك البقية الجلوسَ إلى مائدة أعصابه.

- ان تَفْطُر هذا الصباح، وتتحرّك قليلاً؟ لقد ملّك الفراشُ.

رشة واحدة، وسقطت الذبابة مترنحةً.

مسحةٌ واحدة بالمكنسة، وغاب بيتُ العنكبوت.

أسفٍ لهذينِ المخلوقين الضعيفين.. ثم تسائل: لماذا خُلقا ضعيفين؟ وهل هما ضعيفان حقاً؟

♦ كاتب تونسي شاب. فازت قصته هذه، التي تُنشرُ للمرة الأولى، بجائزة القصة القصيرة في أكبر مسابقة أدبية شبابية في قليببة صيف ١٩٩٨.

- يا امرأة، لا بد أن أعود إلى النوم. إنه وقت القيلولة الآن.. وأنا مُتعبٌ. فأخْرِجني وأغلقني وراءك الباب بهدوء.

- ما الذي أتعبك؟

- سحبت الباب وراعها بكل قوتها (أه لو سحبتة هو..)

- اللعنة على

يطير النوم من عينيه. ينظر في الساعة: الحادية عشرة وبعض دقائق. ماذا يفعل الآن والغرفة مغلقة والرأس ثقيل؟ يتذكرها ببطء (دائماً تُعوده). يشعل سيجارة.. يدخنها بلا تَلذُّذ. ثم.. ينام.. أو يخيل إليه ذلك.

عقارب الساعة تزحف رويداً رويداً.. على بطنها نحو الرابعة بعد الزوال. لا بد أن الطقس قد تبدل في الخارج.

يُفتح الباب. يستنشق الهواء ملء رئتيه. يتجه إلى بيت الحمام. يُغسل أطرافه. ينظر في نفته (سيحلقها غداً). يعود. يلبس أول ثوب يقع بين يديه. يخرج من جديد. يُمسك بالدرّاجة الراسية جنب الجدار. يركبها. يَضْرِب الدواستين عدة ضربات. يكفّ عن الضرب. تنزل الدراجة الطريق الهابطة بسرعة، دون مجهود يُذكر. تنزل مسافة حوالى مائتي متر. ثم تبدأ الطريق في الإرمال والصعود، وتُصنَع سِياقة الدراجة. ينزل. ينظر إلى الطريق الصاعدة أمامه. يفكر في العلوات والرمال التي ستعترضه في الطريق إلى القرية. يفكر في الناس الذين لم يروه منذ مدة.. ماذا سيجيب لو سألوه أين كان؟ تعب منتظر.. وإحراج منتظر.. وكذب منتظر.. وقلق منتظر.

يُعدّل عن فكرة الذهاب إلى القرية. يعود جازاً الدرّاجة. وعندما يصل يصبح بأخيه:

- يا ولد، رُح إلى السوق واشتر لي علبة دخان.

- ورغيف خبز (تضيف زوجته).

- ورغيف خبز (يضيف هو).

يُدخل غرفته من جديد. يُنزع أدياشه.. و.. يعود إلى الفراش يُطبخ جسده المنهك في النوم.

. ٢ .

طلعت الشمس أمس...

مقلقة شمسُ ذاك الصباح، تُحرق الأجساد وتبهر العيون...

- قُمْ يا زوجِ النحس! لقد تعفنت نومًا.

- لا يجيبها لأنه يعرف أنه حقاً زوجُ نحس، مثلما هي زوجةُ نحس.

يتعرق جسده، فلا يجد بداً من القيام للتهوية فقط.. رغم أن الهواء نادر هذه الأيام. يفرك عينيه.. يراوحهما بين الفتح والغلق مرات عديدة كي تُعتادا هذا الضوء الباهر، ثم يبادر إلى التقاط سيجارة من العلبة النائمة تحت الفراش. يُشعل عود الكبريت ثم السيجارة من بعده. لا يُطفئ عود النقاب.. يظل يتأمله باهتمام وهو يحترق رويداً رويداً، تاركاً خلف النار عوداً أسود فاحماً يعلوه رأسٌ محترق. يرنو بلا عَيْنَيْنِ إلى فوق.

يظلّ يراقب هذه العملية حتى تصل النارُ إلى إصبعيه فتلتذعان. ينفخ بشدة على العود نفخةً تطيرُ بعضَ نومه. يلتفت إلى السجارة في يده الأخرى وقد راح أكثرها خارج صدره؛ يُحزنه تَلَفُ الأشياء في غير مجالها: السجارةُ في غير صدره، ليلةُ خارج الحمى، يومٌ بلا خمر، مطرٌ في المدينة، شبابٌ في سجن الفقر.

يستلقي على الفراش من جديد. السجارة في يده اليمنى. يده اليسرى تحت رأسه. وهو ينظر إلى السقف يبحث في كل ركن من أركانه عن شيء يجلب بصره.. أي شيء هذا الصباح.

ذبابة على المصباح المنطفئ (لو اشتعل لطارت).. وقد تحطّ عليه هو فتقلقه. بسرعة استنتج أن اختفاء الذباب ليلاً سببهُ النور الكهربائي.. ثم تساءل عن مدى صحة استنتاجه هذا.

كل شيء يمرّ بهدوء.. أو لا يمرّ. الذبابة هاجعة فوق المصباح. الشمس لا تتحرك. الباب لم يُغلقه أحدٌ ولم يفتحه أحد. محرك التلّاجة يقوم بواجبه من الإفطار من أعصابه دون ملل. كلُّه كفّ عن النباح. التلفاز بدأ بالقرآن. زوجته تتأفّف من نفسها.

- أم.. تدخّن على الخواء. أنا لستُ خائفةً عليك، إنّما أخاف أن تتركنا أيتامًا.

في ركن من الأركان عنكبوتٌ بدأ ينسج بيته - ﴿وَإِنْ أَوْهَنْ الْبُيُوتِ لَبَيَّتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ - يُسججه على مهل وبدون أدنى مجهود. وهو يشارك البقية الجلوس إلى مائدة أعصابه.

- ألن تُنظر هذا الصباح، وتتحرّك قليلاً؟ لقد ملكك الفراشُ.

رشة واحدة، وسقطت الذبابة مترنحةً.

مسحةٌ واحدة بالمكنسة، وغاب بيتُ العنكبوت.

أسفٍ لهذين المخلوقين الضعيفين.. ثم تساءل: لماذا خلّقا ضعيفين؟ وهل هما ضعيفان حقاً؟

- يا امرأة، لا بد أن أعود إلى النوم. إنّه وقت القيلولة الآن.. وأنا متعبٌ. فاخرجي وأغلقي وراءك الباب بهدوء.

- ما الذي أتعبك؟

سحبت البابَ وراءها بكلّ قوتها (أه لو سحبتة هو..)

- اللعنة على

يطير النومُ من عينيه. ينظر في الساعة: الحادية عشرة وبعض دقائق. ماذا يفعل الآن والغرفة مغلقة والرأس ثقيل؟ يتذكّرها ببطء (دائماً تَعُوده). يشعل سجارةً.. يدخنها بلا تلعذ. ثم.. ينام.. أو يخيل إليه ذلك.

عقارب الساعة تزحف رويداً رويداً.. على بطنها نحو الرابعة بعد الزوال. لا بد أن الطقس قد تبدل في الخارج.

يُفتح الباب. يستنشق الهواء ملء رنتيه. يتّجه إلى بيت الحمام. يُغسل أطرافه. ينظر في ذقنه (سيحلقها غداً). يعود. يلبس أول ثوب يقع بين يديه. يخرج من جديد. يُمسك بالدراجة الراسية جنب الجدار. يزكّبها. يضرب الدواستين عدّة ضربات. يكفّ عن الضرب. تنزل الدراجة

